دراسة سورة

يس

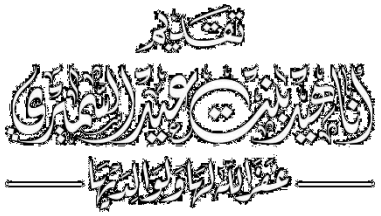

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. نكمل ما يتيسر لنا مدارسة سورة يس، وهذه المدارسة مبنية على أمرين:

الأمر الأول بعد تجديد النية وقصد وجه رب العالمين وأن نكون بهذا العمل نكون مشابهين لنبينا محمد ﷺ، في كونه كان يدارس القرآن في كل ليلة مع جبريل. بعد هذا المقصد نأتي إلى الطريقة.

مقصدنا في هذا اللقاء ليس مجرد الوصول إلى معاني الآيات، إنما أيضا الدخول في باب المدارسة، بحيث أننا نبحث سويا في معاني الآيات ونفكر في دلالاتها، ونفكر أيضا في العمل الذي هو مطلوب منا، العمل هو المقصود الأسمى من العلم، والعمل يقصد به عمل القلب وعمل الجوارح، وهذا يكون بعد فهم صحيح للقرآن وبعد تصور حقيقي لما تدل عليه آيات القرآن.

عرفنا مطلع هذه السورة، وعرفنا أن {يس} من الحروف المقطعة التي تشبه {حم} و{ألم} وغيرها من الحروف العظيمة التي كان لها شأن وأصبحت عظيمة لأن الله تكلم بها، لأن هذه

الحروف خارج القرآن ليس لها هذه العظمة، هي عظيمة لأن الله تكلم بها في القرآن.

لو قلنا خارج القرآن ألم تكون هذه الحروف مثل أي كلام نقوله، لكن لما نقرأها على أنها آية من كلام الله يكون لها التعظيم والتقديس.

عرفنا أن (يس) من الحروف المقطعة، ومن هنا انطلق سؤال آخر وهو ما فضل سورة يس؟

وهذه الموضوعين اقترنت بسبب أن البعض ظن أن يس اسم للنبي ﷺ والله يخاطبه وبالتالي رُتِّب على ذلك كثير من الفضائل، وفي المجموعة ملف فيه تخريج الأحاديث التي وردت في فضل يس، وظهر لنا أنه لم يثبت حديث صحيح في فضلها.

ثم سرنا خطوة واتفقنا أننا لما ندرس سورة لا بد أن نتصور الواقع الذي نزلت فيه هذه السورة لأن هذا الواقع يجعلنا نستفيد أكثر في تصور على أي جُرح نزلت وعالجت أي ألم وبيّنت أي حقيقة.

واتفقنا أن هذا الكتاب العظيم يعالج قضايا لا زالت متكررة ومستمرة، فهي نفسها في كل مكان، لما نعرف هذا الأمر نكون

أغنياء بالقرآن وقتما نكون في نفس الحال نردد نفس الآيات ونتصور نفس التصور.

نفهم الواقع:

- بأسباب النزول أو وصف تاريخي لأحوال معينة.
- وأيضا من خلال نفس الآيات نفهم الواقع، وقد مر معنا أمثلة لذلك.

خرجنا بنتيجة أن سورة (يس) تتكلم عن مجرمين معرضين لكنهم بسبب إجرامهم ما تركوا المسلمين. والقصة التي في السورة تبين هذا، هم مجرمين في قمة الإعراض هل سيتركون المسلمين؟ لأنهم مجرمين ولأنهم عبدة للشياطين، سنرى كيف سيحصل منهم بطش بالصالحين.

ثم وصلنا إلى القَسَم {وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} وعرفنا أن الله قد أقسم بالقرآن، ووصفه بوصف، ما هو هذا الوصف؟ حكيم، واتفقنا أن له ثلاثة معاني، المعاني أنه محكَم وأنه حاكم على غيره وأنه محكِم لشؤون الناس، حكيم في ذاته وحكيم فيما يتضمن وحاكم على غيره، أحكامه كلها توافق الفطرة.

وهذه المعاني من الأشياء التي نعتقدها، تذكرنا لها وفهمنا لها ليس لمجرد المعرفة النظرية، بمعنى أنها تفسير للآية، إنما الواجب أن تكون هذه المعرفة جزء من اعتقادنا.

لذلك سنقول أن **هذه السورة تتضمن قواعد الدين.**

لما تقرأ {يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} لا تظن أنه خبر لا يخصك، أو أنه خبر لا تُسأل عنه، بل هذا خبر مما يخصنا ونُسال عنه ونسعى للوصول إلى هذه العقيدة؛ **اعتقاد عظمة القرآن واعتقاد أنه حكيم، وهذا يسبب لنا الاستغناء عن غيره.** هذا زيادة إيمان في ركن الإيمان بالكتب؛ أن القرآن حكيم وهو محكِم لشؤوننا، وهذا يخصنا وسنلقى ربنا بهذا.

من المؤكد أن صاحب القرآن الذي يقال له، كما في الحديث "اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها" لا يكون مرشحًا لهذا الوصف (صاحب القرآن) إلا لما يعتقد في القرآن الاعتقاد السليم، الذي هذا هو مبدؤه، وكلما احتجنا شيء، ما دمنا نعتقد أنه القرآن الحكيم وأن الله أقسم به لعظمته، وأقسم بهذا الوصف خاصة للقرآن، إذن كلما احتجنا نشعر بأننا أغنياء.

وهنا لطيفة أذكرها لكم، شخص كبير في السن تطلقت من يده الأشغال وأصبح أبناؤه مسؤولون عنه، فجاء أحد أبناءه وأعطاه مبلغا من المال كبير بالنسبة لحاجاته، فقال له الوالد لا أحتاج إلى مثل هذا المبلغ، فالابن أكد عليه أن يأخذه، وقال له يكفي أنك لما تتذكر أن عندك هذا المبلغ في حوزتك يشرح صدرك وتشعر بالاستغناء، الأب لا يحتاج للمال لكن من بر الابن أراد أن يشعر والده أنه غني، هذا الموقف مدهش من الابن أنه بلغ من البر أنه يحافظ على شعوره.

الشعور بالاستغناء شعور جميل، له شأنه، شعور مريح. فلما يكون الله أغنانا عن الخلق، أغنانا عن أفكارهم وعن مقترحاتهم، وعن جهودهم، أغنانا تماما عنهم، وقيل أنتم أغنياء بالقرآن، "ليسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرْآنِ" ومر معنا كثيرا أن أهل العلم يضعون معنى أساسي لهذا الحديث أن معناه يستغني به عن غيره، فالله تكلم بكلام أغنانا به عن كل الخلق، فما بقي إلا أن تُصرف الأعمار لأجل الاستفادة من هذا الكتاب العزيز والاستغناء به.

الجهود الحاصلة لا شيء مقابل المطلوب، جهود بسيطة متفرقة ممن عنده علم بالقرآن، أو من الطالبين للقرآن. نسأل الله أن يمنّ علينا بالتفرّغ للقرآن تفرّغًا يليق بالقرآن!

وهذا المفروض أن يكون مشروع العمر ولا يزاحمه شيء.

في هذه الليالي المباركة ندعو لبعض وندعو لأمة النبي ﷺ أن يشرح الله صدورها للتفرغ لهذا الشأن العظيم، الله يقسم بالقرآن ويقول: {وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ}، الله يصفه أنه حكيم، ونحن نجلس على موائد اللئام نمدّ يدنا نريد من هذا أن يرشدنا وهذا يعطينا نظرية! الله المستعان وحده.

مداخلة: هو شعور جميل، وربما إذا تعمقنا في لذة الشعور، يجعلنا نفقد الشعور بالحاجة وبالتالي نفقد الدافع للدعاء. هذا فينا يخص الماديات وكل ما يتعلق بالدنيا. أما شعور الاستغناء بالقرآن يدفعنا للتعطش والسعي لنيل كل علم منه فقط. الله يرزقنا الشعور الثاني، والتوازن في الشعور الأول.

المقصود أن نعتني عناية خاصة بأوصاف القرآن التي ذكرها الله في القرآن.

مداخلة: في هذا المعنى دايما يستحضرني تفسير السعدي في سورة العنكبوت: فلا كفى اللّه من لم يكفه القرآن، ولا شفى اللّه من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له.

إن شاء الله أن يكون هذا عهد منا مع رب العالمين أن نبذل قصارى جهدنا في فهم القرآن، ونسأله عز وجل أن يهيّء لنا هذه السباب، وهو القادر على ذلك، وكلنا ندعي في هذه الليالي المباركة أن يهيّء الله لنا الأسباب ويعطينا العزيمة ويشرح صدورنا وصدور الأجيال التي تلينا لهذا الأمر العظيم.

هنا شأن نؤكد عليه، وهو معروف، أن السور التي تبدأ بالحروف المقطعة يأتي بعدها الحديث عن القرآن، وقد ذكره كثير من العلماء واستقرأه ابن كثير رحمه الله في تفسيره، فتصبح الحروف المقطعة (يس ، والقرآن الحكيم) إشارة إلى أن هذا القرآن العظيم الحكيم الذي هو حاكم، محكَم، محكِم، الذي نزل من عند رب العالمين لو كنتم تكذبونه هاتوا من الحروف التي تعرفونها كلام يشبه هذا الكلام، ومعلوم التحدي بالإتيان بمثل هذا القرآن، فالله تحدى المشركين أن يأتوا بمثله وأمهلهم ثم سهل التحدي ما استطاعوا ولم يكونوا يستطيعوا {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن

دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} هاتوا من يعاونكم {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا} وفي ذاك الزمان كان العرب في قمة تمكنهم من اللغة. هذا أمر واضح، أقول لمتخصص في شيء: هذا مثلك متخصص وأفضل منك وأمهر وأحسن والدليل أنه يتحداك أن تأتي بمثل هذا، فمن المؤكد أنه إن لم يستطع، فقد غُلِب. فإن عجز هؤلاء العرب أن يأتوا بسورة مثل القرآن ويعارضوه مع كونهم في حالة من البغض والكراهية للقرآن معنى ذلك أن هذه آية عظيمة عجز هؤلاء أن يأتوا بمثلها ومن دونهم أولى بالعجز إلى يوم القيامة.

يس الحروف المقطعة، ثم يقسم الله سبحانه وتعالى على القرآن الحكيم، أقسم الله على نبوة النبي ﷺ، ومر معنا أنه من ضمن الأنبياء، وفيه من تقوية النبي ﷺ ما فيه، لأن الإنسان -وإن كان يعلم الإنسان أنه على الحق- لكن كثيرا ما يحتاج أن يؤكَّد ويُدْعَم هذا الحق الذي يحمله.

نبدأ في الآيات التالية وأول ما نتذاكر في هذه الآيات نذكر أنفسنا أن هذه السورة كانت في حال الاستضعاف وحال التكذيب، وهذه الحال يرى فيها أهل الباطل نفسهم متمكنين غاية التمكّن من أهل الحق وأن الشأن كله لهم، يقررون مصير العالم. هذا

الشعور بالكبر وأن الأمر بيدهم ماذا يحتاج؟ أكيد أن وظيفة النبي النذارة، والله يقول له:

{إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3)}

لأجل أن تنذر القوم. هذا هو الوصف الأول للنبي ﷺ، ووظيفته أن ينذرهم، لكن يبقى أن يُعلم أن مجمل حال النبي ﷺ في كل الأحوال أنه على صراط مستقيم، وهنا تتبدى لنا أهمية هذا الوصف، أهمية أن نعتقد أن النبي ﷺ جاء بهذا القرآن، وهو رسول من عند الله، وسيقودنا جميعا إلى صراط الله المستقيم.

نقرأ في تفسير هذه الآية ونفهم المعنى أكثر، المقسم عليه {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} والنبي ﷺ من ضمن المرسلين، فهذا من ركن الإيمان بالرسول ﷺ ويصف الرسول ﷺ أنه متمكن من الصراط المستقيم، يقول الشيخ:

{عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (4)}

"ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول ﷺ، الدالة على رسالته"

هذه الجملة تحتاج إلى التفكير فيها، بمعنى أن أعظم أوصاف النبي ﷺ الدال على رسالته أنه على صراط مستقيم، لو قال أحد من أهل الكفر ما الدليل على أن محمد ﷺ رسول؟ وهو

لا يجيد العربية ولا يعرف عظمة القرآن، وعجز العرب عن الإتيان بمثله، نقول:

الدليل واضح صريح لا يحتاج أن تتخصص في اللغة العربية لأجل أن تعرف صِدْق رسالة الرسول، الدليل هو استقامة ما يدعو إليه، فلا شيء يدعو إليه هذا الدين يمكن أن يقول أحد ليته ما قال.

نتصور كيف مطلع السورة فيه من العظمة ما فيه: {يس} هذه الحروف التي تتكلمون بها، {وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} منها هذا القرآن الحكيم الذي يجب أن تعتقدوا أنه حاكم عليكم وعلى غيركم وأنه محكَم في ذاته وأنه محكِم لحياتكم، والقرآن الحكيم يقسم عز وجل به على أن هذا الرسول من المرسَلين، ودليل هذا أيضا أنه متمكّن من الصراط المستقيم، على الصراط المستقيم، لا شيء مما أتى به النبي ﷺ يمكن لأحد أن ينتقده.

"وهو أنه (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) معتدل" الذي يسير وراء النبي ﷺ في هذا الصراط إلى أين سيصل؟

"موصل إلى الله وإلى دار كرامته" فهو موصوف بأنه مستقيم في نفسه، مستقيم في غايته، لا حاجة للف والدوران لتصل إلى الله، ولا تحتاج للتشتت وسؤال فلان وعلان، أقبل على كتاب الله

وتعلم كتاب الله، وافهم من كلام الله، ستجد نفسك سائر خلف رسول الله ﷺ إلى الله.

من أراد أن يستثمر عمره ويحسن عمله فليعطِ نفسه للقرآن، وإذا فعل ذلك لا بد أن يعطي نفسه للسنة لأنها وحي مبين، فسيجد الإنسان نفسه أنه قد وصل إلى الله ودار كرامته.

"وذلك الصراط المستقيم" الذي سنسير به خلف النبي ﷺ سنخطو إليه بأقدامنا، أو بأعمالنا؟ قال بأعمالنا "مشتمل على أعمال" تسير خلف النبي ﷺ ليس بقدمي بدنك، إنما بقدمي قلبك، كيف؟ تعمل الأعمال وأنت ترى أنك سائر خلف النبي ﷺ. هذه الأعمال التي جاء بها النبي ﷺ ما أثرها علي؟

فقط تضعني على الصراط المستقيم وتوصلني لرب العالمين؟ علينا أن نعرف أن هذه الأعمال تجعل الإنسان صالحا لمجاورة رب العالمين.

"وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول ﷺ، ووصف دينه الذي جاء به" معنى ذلك أن النبي ﷺ له وصف أنه على الصراط المستقيم، متمكّن من الصراط المستقيم،

وجاء يدلّنا على الصراط المستقيم. والطريق الذي عليه النبي ﷺ والذي دلّنا عليه سيوصلنا إلى الله ودار كرامته، والسير في هذا الطريق بأعمال القلب والجوارح، الناس إذا أرادوا أن يسلكوا طريقا، عرفوا الطريق واستعدوا للسير فيه وساروا بأقدامهم، من أراد أن يسير خلف النبي ﷺ على الصراط المستقيم مطلوب منه نفس الأمر، يستعد للصراط المستقيم، ويتعلم هذا الصراط، ويسير بالأعمال الصالحة.

هل دور الأعمال الصالحة فقط أن توصل إلى الله؟ سميت أعمال صالحة لتوصل إلى الله لأنها ستصلح قلب السائر وبدنه، تصلح دنياه وأخراه. لذلك لا أمر من الأوامر ولا نهي من النواهي سيضر دنياك، ولن يضر بدنك أبدًا، بل إنه بالإضافة إلى أنه لن يضر، سينفع دنياك وبدنك. والأهم من هذا أنه سيصلح قلبك ويصلح بدنك، فأنت لا تخف، ربنا رحمن، كما سيتكرر في السورة، فمن رحمته أن أرشدك إلى هذا الصراط المستقيم، الذي به يصلح القلب والبدن والدنيا والآخرة، أرشدك إلى الأخلاق الفاضلة التي تزكي نفسك وتطهر قلبك وتنمي أجرك، فلا فعل تفعله إلا وتجد أثره على نفسك من انشراح وصلاح مهما أشعرك عقلك أو الشيطان أو الناس أن هذا سيضرك.

مثال بسيط جدا لنتأكد أن لا شيء في هذه الأوامر سيضرنا. في صلاة الجمعة يمنع الكلام، وهؤلاء كانوا في أحد الأماكن خارج الحرم لصلاة الجمعة، وكان زحام، وكثير من النساء لا يعرفون آداب صلاة الجمعة، وجلسوا بجانب امرأة كبيرة في السن مع بناتها، وحق المرأة الكبيرة في الإسلام الاحترام، فحصل أنها كلمت هؤلاء أثناء الخطبة فالتي تحكي القصة لم ترد كما أُمرت، ووقع في نفسها أنه سيحصل ضرر ووحشة لهذه المرأة التي حقها الاحترام لكنها قالت سأمتثل الأمر الذي أمرت به ولن أتكلم، ومهما وقع في نفسها وحشة الله سيحلها، فكان هذا اختبار لها، وهي ذات أخلاق وتعامل الناس أحسن ما يكون واضطرت ألا ترد عليها. بعد ما انتهت الصلاة احتاجوها في شيء فقدمت لهم خدمة وتلطفت معهم وشعروا بأنها امتنت عليهم. الله أنشأ لهم الحاجة لتحسن لهم ويزول ماشعرت به من وحشة تجاههم.

الحكمة من هذه القصة أنها في لحظة ظنت أن منع الكلام في أثناء الخطبة، وإن كان فيه مصالح جليلة، فإنه سيسبب وحشة، وسيظهر أخلاقها أنها مستوحشة، لكن ربنا دبر لها تدبيرا جعلها تخدم هذه المرأة بعد انتهاء الصلاة، وتشعر أنها ذات أخلاق

حسنة. لما تمتثل أمر الله وتسير على ما يريد الله، الله يدبر الشأن.

بهذا تفهم أن رب العالمين ما يأمرك بأمر، حتى لو كان في الظاهر أنه يظهرنا سيئوا الأدب، هذا في حد تفكيرنا، حكمة الله عظيمة، الله هيأ لها ما يزيل ألمها من جفائها السابق.

عليك أن تعرف أن هذا الدين صراط مستقيم وأن الأمر بيد الله ولا تفكر إلا في رضاه، والله يرضي خلقه، فلا تهتم بأكثر مما يجب أن تقوم به. نحن نسير على صراط مستقيم، وطالما أن العبد حريص على هذا الصراط المستقيم فإن الله سيكرمه.

هذه الأخلاق الفاضلة مزكية للنفس مطهرة للقلب منمية للأجر، تفعل الفعل السهل البسيط الذي تتمكن منه، فيتضاعف لك الأجر.

النبي ﷺ على صراط مستقيم على مسلكه ودينه هو الصراط المستقيم. "فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول ﷺ، ووصف دينه الذي جاء به"

"فتأمّل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القَسم بأشرف الأقسام، على أجلّ مقسم عليه" أقسم الله عز وجل بالقرآن على أجلّ مقسم عليه وهو النبي ﷺ. "وخبر اللّه وحده كاف" ويكفي أن الله أخبر أن هذا رسوله وأن هذا كلامه.

"ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه" مما يدل على نبوة النبي ﷺ وعلى صحة القرآن: أن هذا القرآن وهذا الرسول على صراط مستقيم.

إذن على صراط مستقيم لها شأن عظيم، فكل الناس بدون استثناء رغبتهم أن يصلوا إلى مصالحهم أسرع وأيسر ما يكون، أقل جهد بقدر المستطاع، وهذه الثلاث صفات لا تتوفر إلا في الصراط المستقيم، كل الناس أملهم أن يصلوا إلى غاياتهم بهذه الصورة، وهذا ليس وصف إلا للقرآن، تريد أن تصل إلى مجتمع فيه من الصلاح والفلاح، وأبناء صالحين، واقتصاد متوازن، لا تجرب الطرق، تعلم ما جاء من الرسول ﷺ، واسلك الطريق ستجده صراطا مستقيما. الطريق واضح لا اعوجاج فيه والمطلوب منك أن تثبت على هذا الصراط المستقيم.

نتأمل هذه الآية التي فيها خبر أن هؤلاء يعبدون الشيطان، {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)} معنى هذا أن النبي ﷺ

على صراط مستقيم، وهؤلاء عبدوا الشيطان وتركوا الصراط المستقيم، فمن المؤكد أنهم ضلوا عن الطريق، لذلك ما وصلوا إلى جنات النعيم {هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} لأن الصراط المستقيم موصل إلى الله وإلى دار كرامته كما قال الشيخ السعدي، لكن هم بعد كل هذا التحذير عبدوا الشيطان.

معنى ذلك أننا وجدنا الخبر عن الصراط المستقيم في أول السورة وفي هذا الموطن. وإن شاء الله سيأتينا الكلام عن موطن آخر بعد ذلك. في الدرس العام نعتني بموضوع الصراط المستقيم، فسيظهر لنا الكلام عن الصراط المستقيم هناك.

ثم يأتي وصف عظيم من أوصاف القرآن يجعلنا شديدي الاهتمام بالقرآن، وصف القرآن بأنه حكيم، وأقسم الله بذلك على أن رسولنا هو الرسول الكريم وأنه من زمرة المرسلين، وأنه كالرسل السابقين على صراط مستقيم، وأن هذا القرآن وهذا الصراط المستقيم

{تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5)}

معنى ذلك أن هذا الوحي وما أرسلت به ليس من عندك، وإنما هو {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}. سنفكر في مجموعة أشياء، أكيد أن

العزيز الرحيم اختُصّا بذكرهما هنا لدلالة، نرى هذه الدلالة من تفسير الشيخ السعدي:

وهذا الصراط المستقيم (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقا لعباده، موصلا لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: العزيز. الرحيم.

لماذا {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}؟ يقول الطبري:

اختلف القراء في قراءة قوله (تَنزيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (تَنزيلُ الْعَزِيزِ) برفع "تنزيل"، والرفع في ذلك يتجه من وجهين؛ أحدهما بأن يجعل خبرًا، فيكون معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. والآخر: بالابتداء، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: إنك لمن المرسلين، هذا تنزيل العزيز الرحيم. وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام (تَنزيلَ) نصبًا على المصدر من قوله (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل، فكأنه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقًّا. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في

قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب.

نستفيد فائدتين من كلام الطبري ونضيفها على كلام الشيخ السعدي. ما معنى {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}، يقول يمكن أن يكون خبر فيكون معنى الكلام إنه {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}، ويمكن أن يكون مبتدأ فيكون الكلام إنك لمن المرسلين هذا {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}، ثم اختار المعنى، ومعنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

إذن يمكن أن يكون العزيز الرحيم متوجهة للتنزيل أو للقرآن، ويمكن العزيز الرحيم أن تكون متوجهة إلى الرسول ﷺ. توجد دلالات متعددة؛ العزيز في قوته، العزيز في امتناعه، العزيز في حجته، العزيز في نصر أوليائه وإهلاك أعدائه، كل هذا ممكن، وكل هذا سنجده في السورة، والرحيم أيضا واضح في السورة، رحيم بالمؤمنين، رحيم برسله، رحيم بمن تاب. أول ما نجد الاسم نحاول أن نفهمه في السياق ونفهمه في السورة، فلما تبتدئ السورة باسم لا بد أن يكون له أثر في السورة.

نلحظ العزيز باللفظ في السورة في الآية 14 {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (14)} نفهم من هذا أنه أعز الرسل، فهو العزيز الذي يعز رسله، سيتبين لنا أكثر ونحن سائرين.

لكن نؤكد على المعاني التي وجدناها عند الطبري وعند السعدي، يمكن أن يكون {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} هذا القرآن {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}، نفهم بهذا أنه "عزيز حماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحيم رحم به عباده رحمة اتصلت بهم حتى أوصلتهم إلى دار رحمته" حماه بعزته وأنزله برحمته فجعل عباده مرحومين بنزوله أن دلهم على الطريق المستقيم، هذا لو أشرنا إلى القرآن.

أو (تنزيل) يشار إلى النبي ﷺ وإرساله، {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} أُرسلت من عند العزيز الرحيم، إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه... إلى آخر ما ذكر الطبري.

يمكن أن نراه متصلا بالقرآن ونراه متصلا بالرسول، هذا القرآن وهذا الرسول أرسلا ونزل القرآن من العزيز الرحيم. لما

نسمع الآيات بعدها {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)} إلى أن نصل {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (8)}، ونسمع {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9)} يمكن أن تشعر أن الله عزيز لمن أصرّ على العناد فالله لا يغالب ورحيم بمن أراد الحق، لأننا نسمع بعد ذلك {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}، لتنذر قوما ثم {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} الله يعامل الجزء الأول من هؤلاء بعزته لأنهم أصروا على العناد، ومن خشي الرحمن بالغيب، هنا تظهر رحمة الله. ويمكن أن نفهم أنه رغم وجود هؤلاء المعاندين لكن الله عزيز فحفظ كتابه ورحيم بإنزال الكتاب.

{لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)}

نبدأ بالوظيفة، الآية تشير إلى وظيفة النبي ﷺ، ونلحظ كلمة النذارة أنها تكررت في السورة، كم مرة تكررت مادة النذارة من الآية السادسة إلى الآية الحادية عشر؟ من المهم أن نعرف

موضوع السورة من خلال الكلمات التي تكررت في السورة، تكررت خمس مرات:

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10)

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11)

تصور كيف حصل تركيز على أن وظيفة الرسول هي النذارة وليست البشارة، هنا سنركز على الواقع، لما تنظر في الواقع تعرف أن الواقع يستلزم الإنذار. على وجه العموم لما يكون الناس ملتفتين عن الحق يحتاجون النذارة، فالبشارة لمن أقبل على العمل.

من السورة عرفنا أن من يكون ملتفتًا غافلًا الواجب أن ننذره الخطر {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)}. نريد أن نتصور لو امرأة وقفت في الطريق لسبب ما، وهذا موقف يحصل دائما في الحرم، ثم سيارة الخدمات آتية من جهتها، ماذا تحتاج مني؟ لأنها في حالة غفلة المطلوب أن ننذرها، نقول لها هذا طريق سير الخدمات وهو لن يراك فانتبهي. ليس المطلوب منك أن تتلطف معها في هذا الموقف، المفروض أن تنذرها

وتحذرها، فكانت هذه هي وظيفة النبي ﷺ. قوم ملتفتون تماما عن الخطر المحيط بهم، لا يشعرون أنهم مقدمون على أمر خطير، فهؤلاء لا بد أن ينذروا.

نلاحظ لتنذر، نلاحظ اللام، لما تدخل اللام على فعل مضارع وهي مكسورة تكون لام العلة مثل {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ}، كأن رب العالمين يبين لنا حكمته من الرسالة، من الوحي، أرسل الرسل وأنزل الوحي للإنذار. لما تسأل لماذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؟ لأجل تحذير الناس، وسنفهم المقصود بكلمة النذارة.

الإنذار هو الإعلام بمخوف يمكن اتقاؤه، مثلا معلم وطلابه يقول لهم إذا لم تشاركوا في الدرس سأضطر إلى إخراجكم من الحلقة، هذا إعلام بمخوف يمكن اتقاؤه.

الفرصة ما زالت متاحة.

يعنى نذارة لها هدف ليس مجرد تخويف بلا هدف، رأفة أن تعي ما هو منتظرك حتى تتمكن من اتقاؤه.

نعم المقصود من النذارة ليس مجرد التخويف، تخوفهم لأجل أن يحسن الوضع، المقصود الإعلام بما هو مخوف يمكن اتقاؤه. النبي ﷺ جاء ينذر الناس من عقاب الله عز وجل، أنهم لو

استمروا على كفرهم سينزل بهم العقاب وحالهم في الآخرة سيكون كذا، من استمع للإنذار سيستفيد منه، هذا يسمى متقي.

إذن اللام لام التعليل وتنذر بمخوف يمكن اتقاؤه وإذا استفاد الإنسان بهذا الإعلام أصبح تقيا، يتقي أن يفعل هذه الأفعال، يتقي الشيء الذي غفل عنه الناس، يتقي هذه النتيجة. كيف اتقى أن تحصل له هذه النتيجة؟ بالدراسة أو التركيز، إلى آخره. لمسلكه هذا اتقى هذه النتيجة.

اللام تكون مكسورة ويأتي بعدها فعل مضارع تكون لام العلة، لو كانت مفتوحة تكون قَسَمًا، وإذا كانت ساكنة تكون لام الأمر.

يتقي بمعنى وقى نفسه من النتيجة السيئة؟

نعم.

{لِتُنذِرَ قَوْمًا} ما بهم؟ {مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ} هذا سؤال للغد: ما دلالة {مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ}، فيها دلالتين نراجعها من الطبري وابن كثير والسعدي.

نحلل كلمة {قَوْمًا} كلمة قوم عندنا لها دلالة وهي أنهم مجموعة من الناس. نعود لما وراء هذه الدلالة التي أصبحت مشهورة، القوم كلمة تطلق لما يجتمع مجموعة من الناس على شيء معين يكون قد قام بهم، مثل النسب، هؤلاء قوم قام بهم نسبهم فجعلهم

مجتمعون، يعني قوامهم الذي يقومون عليه، سنرى قوام هؤلاء، {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ}، هؤلاء لهم قوام يخصهم، قاموا به. بقي علينا ما أنذر آباؤهم للقاء غد إن شاء الله.